محاضرة رقم 2 – تابع ابن سينا-

الله والعالم: كيف وجد هذا العالم؟

وان كان ابن سينا يؤمن عقدياً أن الله هو الذي اوجد العالم من العدم، لكنه يلجأ إلى طريقة فلسفية ، أراد من خلالها ان يتلافى بعض المشكلات التي يصعب حلها، كما أنها تنتهي بأقوال فيها من اللبس و التعارض العقلي والعقدي، فقد تجنب القول بالخلق والصنع التي قال بها الفلاسفة والمتكلمون، لما يتبعها من افتراضات فالقول بان الله خلق العالم المادي، يطرح اشكالية تتعلق بقدم المادة وكلك زمن الخلق، وما قبل الخلق، ولأن ابن سينا أرسطي النزعة فهو إلى القول بقدم العالم أميل، لكنه تجنب التصريح بهذا الأمر لما فيه من تبعات، لجأ إلى تعديل هذا التصور بطريقة لا تتعارض نتائجها مع العقيدة، رغبة منه في التوفيق بين الدين والفلسفة.

وقد بدأ بتفسير معاني الألفاظ المرتبطة بإيجاد العالم((أوجد، وصنع، وفعل)) وهو يرى أن الإيجاد و الصنع والفعل تدل على ((أنه قد حصل للشيء من شيء آخر وجود بعد ما لم يكن)) **ابن سينا الإشارات ص 80.**وهذا يمكن ان ينتج عنه القول ((بأن العالم إنمّا احتاج إلى الله في ابتداء وجوده بعد عدم، وليست له بعد ذلك حاجة إلى الباري)) **ابن سينا الإشارات، 116.** ولهذا فهو يوظف عبارة الإبداع ويرفض القول بالإيجاد والصنع والفعل والإحداث والتكوين، فهو يرى أن عبارة الإبداع قادرة على تأكيد وحدانية الباري وصدور العالم عنه، لأن الإبداع عنده يعني ((أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلق به فقط، دون متوسط أ, آلة أو زمان. وما يتقدمه عدم زماني لم يستغن عن متوسط فالإبداع أعلى رتبة من التكوين والإحداث)) وبذلك يكون الشيخ لرئيس قد رفع الحرج وتجنب القول بالخلق والحدوث لتفادي مشكلة المادة وقدمها، كون الإبداع يوضح أن الشيء وهو يقصد العالم لا يكون من مادة ولا من زمان سابق،لأن الله أزلي - قديم- ومنه يكون قد بيّن قدرة الله وأزليته واثبت في الوقت نفسه قد العالم لغرض نفي وجود لحظة فراغ والقول بالعجز و اللاإرادية، فالوجود المطلق الذي تتحدث فيه الوجود والماهية هو الله.لأن الموجودات الواجبة بغيرها تختلف ماهيتها عن وجودها، ماهية المادة كانت منذ الأزل وقد أبرزها الله

بإرادته المطلقة إلى الوجود بالفعل، فوجودها بالقوة قديم و وجودها بالفعل محدث، وهذا هو الإبداع، عنده والذي يحمل نفس التصور عن الخلق عند الفارابي، فقط ابن سينا زاد فكرته توضيحاً حينما ميّز بين القدم الذاتي الذي يختص به الله والقدم ألزماني.

فالقدم الذاتي لا يحتاج إلى علّة خارجية، فعلته كامنة فيه وهذا لا ينطبق إلا على واجب الوجود.

أمّا القدم ألزماني يحتاج وجوده إلى علّة خارجية، لكنه لم ينشأ في زمان أي لم يتقدمه زمان ولهذا هو قديم، ولكن الله هو علّة حدوثه و وجوده ومنه يكون العالم قديم محدث في آن واحد.

ان تقدم الله على العالم هو تقدم بالذات لا بالزمان، ويقدم مثال شارحا لهذا، يتمثل في ((حرّكت يد المفتاح فتحرّك المفتاح، ولا نقول تحرّك المفتاح فتحركت يدي، وإن كان معاً في الزمان، فهذه بعدية بالذات)) **الإشارات 105**، وبهذا يمهد ابن سينا لنظريته التي يفسر بها وجود الممكن عن واجب الوجود وهي نظرية الصدور او الفيض مثلما فعل الفارابي قبله.

الصدور الذي مفاده أن الأول لا يصدر عنه إلاّ واحداً، إذا لو صدر عنه اثنان لكان على جهتين مختلفتين، كون الإثنية في الفعل تقتضي حسبه الإثنية في الفاعل .

وأوّل ما صدر عن الله هو العقل الأوّل، ثم النفس، ثم جرم السماء، ثم مواد العناصر الأربعة. أمّ كيفية صدور هذه العوالم بترتيبها النازل من الحق سبحانه، وقد بيّن ذلك في الرسالة العشرية أن القعل الأوّل الذي يصدر عن الله يتعقل ذاته فتصدر عنه ثلاث تعقلات، احدهما يعقل خالقه تعالى والثاني أنه يعقل ذاته واجبة بالأوّل تعالى، والثالث أنه يعقل كونه ، فحصل من تعقله خالقه عقل هو أيضاً جوهر عقل آخر ، كحصول السراج من سراج آخر، وحصل من تعقله ذاته واجبة بالأوّل نفس و هي أيضاً جوهر روحاني كالعقل، إلاّ أنه في الترتيب دونه، وحصل من تعقّله ذاته ممكنة لذاته جوهر جساني هو الفلك الأقصى)) وهذا هو طريق الكثرة عن الواحد، فالتعقلات الثلاثة، تعقله لخالقه، وتعقله لذاته واجبة، وتعقله لذاته ممكنة.

ومنه يحصل من كل تعقل عقل ونفس وجسم، إلى ان ينتهي الصدور إلى العقل العاشر،الذي حصل منه العالم العنصري وهو الكون والفساد والعناصر الأربعة- النار والهواء والماء والتراب، التي حصلت منها المعادن، والنبات، والحيوان، ثمّ الإنسان الذي هو أكمل الحيوانات و أشرفها.

وتركيز ابن سينا على فعل التعقل في الصدور له دلالة ترتبط بضرورة استخدام العقل وتقل الذات والعالم، لمعرفة الحق ومنه يحدث الارتقاء وتشرق المعرفة وتحصل السعادة.